عطاء الجامعات بعد ٥ يونيو

حامل دنيا

●● إذا كانت الفوضى فى التخطيط، والارتجال فى اتخاذ القرار.. أو الاسلوب اللا علمى - أسلوب الهبكة أو الفهلوة أو الشطارة الخارقة..

●● أو إذا كانت غيبة القيم التى سادت المجتمع فى ظل حكم مراكز القوى السابقة التى قضى عليها الرئيس أنور السادات إلى غير رجعة فى ١٥ مايو ١٩٧١.. هى التى أدت إلى نكسة ٥ يونيو سنة ١٩٦٧..

●● وإذا كان فقدان الثقة فى النفس وفى الفكر المصرى وفى القدرة المصرية على مواجهة الأحداث هو من أخطر الآثار التى أصابت المجتمع المصرى عقب هزيمة ٥ يونيو.. فإن استرداد الثقة فى الفكر المصرى الخلاق وفى الإدارة المصرية القادرة على صنع القرار.. كان أحد المكاسب الكبرى لحرب أكتوبر المجيدة..

●●●

والآن ونحن نواجه مصير الشعب بعد معركة النصر وبعد أن استردنا فى القمم الأولى ثقتنا فى أنفسنا قبل أن نسترد الأرض.. فإن ذلك يلقى علينا مسئوليات كبرى.

إن المشكلة الاقتصادية لا تحل فى الخارج وإنما بالفكر المصرى والأداء المصرى. وهذا لا يمنع أن نتشاور مع أية خبرة أجنبية على مستوى الدول الصديقة أو المنظمات الدولية.

وكذلك فإن بناء الانسان المصرى من حيث تربيته وتعليمه وتدريبه لا يتأتى بحل مستورد من الخارج، وإنما أيضا يأتى بفكر متفتح وبإرادة مصرية قادرة على التنفيذ..

●● وكل مشاكلنا هى كذلك..

ولا يعنى هذا بأى حال من الأحوال أن ننغلق على أنفسنا أو تركبنا موجة الغرور.. وفرق بين الثقة فى النفس وبين الغرور. علينا أن نتفتح على التجارب العالمية. ولكن يجب أن يكون واضحا أن القرار النهائى والتجارب النهائية والأداء الحاسم.. هى للفكر المصرى وللقواعد المصرية.

● الدكتور مصطفى كمال حلمى

وإذا نظرنا إلى دور التعليم فى فترة ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧.. إذا نظرنا إلى الجامعات مثلا.. فإننا نعترف بصراحة أن دورها فى خدمة المجتمع لم يكن ظاهرا، ولم يكن عطاؤها ملموسا.. لكن بعد حرب أكتوبر وفى جو الحرية والديمقراطية وسيادة القانون، ومناخ الثقة بالنفس وتقدير الدولة للجامعات ورسالتها ووظيفتها.. ينتظر أن نرى قريبا بإذن الله العطاء الايجابى للجامعات. ليس فى صورة ذلك العطاء التقليدى لعشرات من الوف الطلاب يحصلون على درجة البكالوريوس والليسانس سنويا.. أو بضع مئات من الخريجين يحصلون على درجات الماجستير والدكتوراه فى موضوعات علمية بحتة.. وإنما بالإضافة إلى ذلك، وليس بديلا عنه، بعطاء علمى مدروس للمساهمة فى حل المشكلات القومية التى يواجهها المجتمع، وتستشعرها الجامعات وتقوم هى بنفسها - وقد أصبحت مؤسسات علمية مستقلة - على التصدى وتقديم الحلول والرأى لهذه المشكلات القومية.

●● ولا بد لنا ونحن نحلل الأحداث بمنطق علمى هادىء، ألا نمر ظاهرة لقاء الرئيس أنور السادات بأساتذة الجامعات خمس مرات خلال الأربعة الشهور الماضية.. لا بد أن نحلل وأن نقيم هذا الموقف الجديد الذى لم يحدث فى تاريخ الجامعات.. إن المحلل لما دار فى هذه الاجتماعات، ولما تحويه هذه الرسائل.. ليستشعر حقا أنها بداية مرحلة جديدة مناخها الاحترام والثقة والعلمية والعطاء السليم..

ومن حق المجتمع أن ينتظر من الجامعات الكثير.. فالجامعات رصيدها الكبير من خبراء الفكر - الذين يزيد عددهم على ٥ آلاف عضو هيئة تدريس - يجعلنا نثق بأنهم سوف يعطون - وسيتحقق ذلك بإذن الله - من فكرهم وعلمهم وعرقهم وعجونهم ورأيهم الكثير فى مواجهة مشكلات المجتمع..

●●●

●● وقد بدأت هذه المرحلة الجديدة فعلا فى تاريخ جامعاتنا.. كانت أول مواجهة لبحث دور الجامعات فى خدمة المجتمع المصرى، هى ذلك الموضوع الهام.. موضوع الاشتراكية الديمقراطية فلسفة ونظرية وفكرا.. لقد عقد أول اجتماع لمناقشة هذا الموضوع الحيوى يوم الخميس الماضى فى قاعة اجتماعات مجلس جامعة القاهرة.. حضر ذلك الاجتماع الكبير الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التعليم وبعض رؤساء الجامعات، وما يقرب من ٥٠ عضو هيئة تدريس من مختلف الجامعات والتخصصات التى تتصل بهذا الموضوع الحيوى.. كالعلوم السياسية والاقتصادية والفلسفة والعلوم الاجتماعية والاجتماع والقانون..

●● وما يذكر أيضا أن الدعوة كانت مفتوحة لكل من يرغب من أساتذة وأعضاء هيئات التدريس. وهذا يدل بوضوح على أن أمور البلد لم تعد حكرا على أحد أو تدار فى لجان خاصة أو بطريقة سرية مقلوبة، أو كأن البلد لا يهم الا فريقا معينا من المواطنين، أو أنه لفئة دون أخرى..!

والدليل الحى أن مناقشات هذا الاجتماع الكبير والمفتوح لأول مرة فى تاريخ جامعاتنا والتى استمرت ٥ ساعات متصلة. كشفت عن حقائق مذهلة. تكلم الأساتذة بصراحة وتحدثوا عما ينتغل فى نفوسهم.

●● أعلن بصراحة الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التعليم - بوصفه أستاذا فى الجامعة - فى بداية الاجتماع: أن تلك الفترة البغيضة والكريهة فى نفوس أساتذة الجامعة قد اختفت إلى الأبد. انتهت المرحلة التى كان دور الأساتذة فيها مجرد العمل على تنفيذ وتدبير القرارات التى كانت تأتى من أعلى. لقد آن الأوان لأن يأخذ أساتذة الجامعة دورهم الحقيقى والفعلى فى المساهمة فى حل مشاكل المجتمع..

وأزاح الأساتذة الستار عن الأسباب التى عانى فيها رجال الجامعة عام ١٩٥٤.

●● وروى الدكتور عبد المنعم الشرقاوى الأستاذ بكلية حقوق القاهرة تفاصيل أكثر عن نصة مذبحة الجامعات

قال الدكتور الشرقاوى، فى هذه القاعة بالذات - قاعة اجتماعات مجلس جامعة القاهرة - وفى يوم ٥ أبريل ١٩٥٤ اجتمع ٣٧ أستاذا من مختلف الكليات للنظر فى دعوة الرئيس السابق جمال عبد الناصر للذهاب إليه، وكانت الأغلبية ترفض هذا اللقاء.. وعندما تابلغنا وطلبنا منه إرساء قواعد الديمقراطية الصحيحة.. فوجئنا بقوله: إن الجامعة تعارض الثورة وتحاربها..!!

ولما قلت له: بل على العكس.. إن الجامعة قامت بالثورة قبل أن تقوموا بها. وإنها الهيئة الوحيدة التى رفضت مقابلة الملك السابق فاروق عندما حضر إلى الجامعة لتوزيع جوائز العلم.

فكان جزاؤنا الفصل من الجامعة.

وقال الدكتور الشرقاوى: ولكن الصورة الآن تختلف تماما.. فالرئيس أنور السادات هو الذى يطلب إرساء قواعد الديمقراطية، ويطلب منا فى نفس الوقت أن نضع لها الضمانات اللازمة.

إن الجامعات سوف تأخذ أيضا دورها الحقيقى فى تحقيق الثورة الادارية المنشودة. بعد أن أصبحت الإدارة علما وفنا ومهنة. سوف تشارك فى كل موضوعات الساعة. كالإسكان. وبناء الانسان المصرى وإعداده. والتنمية الاجتماعية والاقتصادية.. والطاقة. والثورة الزراعية أو الخضراء. والثورة الصحية.. إلى آخر مشاكل مجتمعنا..

إن عطاء الجامعات للمجتمع، سوف يكون كبيرا وحقيقيا، بعد أن منحها الرئيس القائد أنور السادات الثقة والاحترام والاستقلال الكامل..

٢٠ الف شهيد تحت ٧٤ مليون متر من الرمال ..

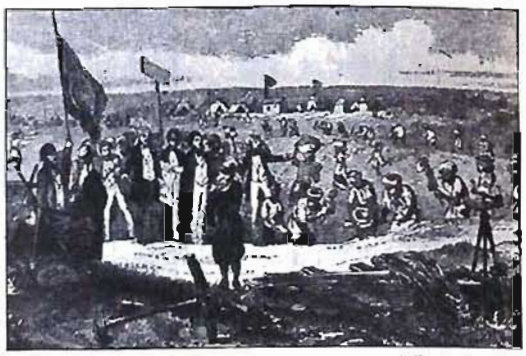

● البدء فى حفر القناة .. عند بورسعيد

●● الشىء الغريب لمن يؤرخ لقناة السويس .. أن نبوءة المؤرخ الفرنسى أرنست ريبان قد تحققت بالفعل . ولخمس مرات .

●● فقد أراد أن يكرم الدبلوماسى العجوز المتقاعد فرندنان دى لسبس فى أكاديمية فرنسا . ولماذا لا يكرم وبأحسن شكل .. ؟

فهو الوحيد الذى حصل على امتياز حفر قناة السويس من خديو مصر محمد سعيد باشا فى ذلك الوقت .

وكان تكريم دى لسبس نوعا من قراءة الطالع لقناة السويس . فقال له الفيلسوف الفرنسى ريبان .

« إذا كان مضيق البوسفور حتى اليوم موقعا كافيا لإثارة الاضطرابات فى العالم . فقد خلقت أنت - يقصد دى لسبس - ممرا أخطر شأنا منه . وهكذا عنيت هنا بمواقع معارك الغد الخطيرة . »

وتحققت بالفعل هذه النبوءة فى خلال مائة عام . أغلقت قناة السويس خمس مرات . مرة فى عام ١٨٨٢ عندما استولى الانجليز على مصر . أغلقت لمدة يومين . وفى عام ١٩١٥ . وبسبب الحرب العالمية الأولى . أغلقت القناة ليوم واحد . وفى الحرب العالمية الثانية . أغلقت لمدة ٦٧ يوما . وفى عام ١٩٥٦ أغلقت لمدة خمس شهور ونصف شهر . وكان ذلك بسبب العدوان الثلاثى على مصر .

أما أخر وأخطر إغلاق لقناة السويس . فكان يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ بسبب النكسة . وظلت هكذا ثمانى سنوات . حتى ٥ يونيو ١٩٧٥ وإذا كانت فرنسا . أو رجل من فرنسا . قد جعل فكرة توصيل البحر الأحمر بالبحر الأبيض حقيقة واقعة . فإن الفراعنة كانوا أول من فكر فى توصيل البحرين ببعضهما .

وكان الملك سنوسرت الثالث أول من فكر فى المشروع عام ١٨٨٧ قبل الميلاد .

- لماذا حدث فى عهده ؟

لأنه كان يريد توطيد التجارة بين الشرق والغرب . فقد جعل السفن القادمة من البحر المتوسط تسير فى الفرع « البيلوزى » من النيل . وكان يقع بالقرب من بور سعيد الحالية . ثم تتجه السفن بعد ذلك الى « بوبست » وهى مدينة الزقازيق الحالية . ثم تتجه شرقا الى « تانيا » وهى مدينة أبو صوير الآن . ومنها إلى البحر الأحمر عبر البحيرات المرة . وقد كانت فى ذلك الوقت خليجا متصلا وظلت القناة بهذا الشكل حتى عهد الملك « نخاو الثانى » عام ٦٠٩ قبل الميلاد . ولكنها كانت تتوقف أحيانا بسبب ردمها بالرمال ، فيعاد حفرها من جديد .

« أول تطوير .. منذ ٢٠٠٠ عام »

وجاء بطلميوس الثانى عام ٢٨٥ قبل الميلاد . ولم يعجبه الوضع الحالى للقناة . وأراد تطويرها وأعد مشروعا لذلك . يهدف إلى تعديل مسارها . فأصبحت بجوار مدينة كليسما وكانت مكان مدينة السويس الحالية .

أما الامبراطور الرومانى « تراجان » فقد أراد هو الآخر أن يجرى تحسينات على القناة

● فرديناند دى ليسبس .. نجح فى اقناع سعيد باشا بحفر القناة

● امبراطور النمسا

● أمير بروسيا

● أمير هولندا

● امبراطورة فرنسا

● ملوك وأمراء أوربا حضروا احتفالات الافتتاح لقناة السويس .

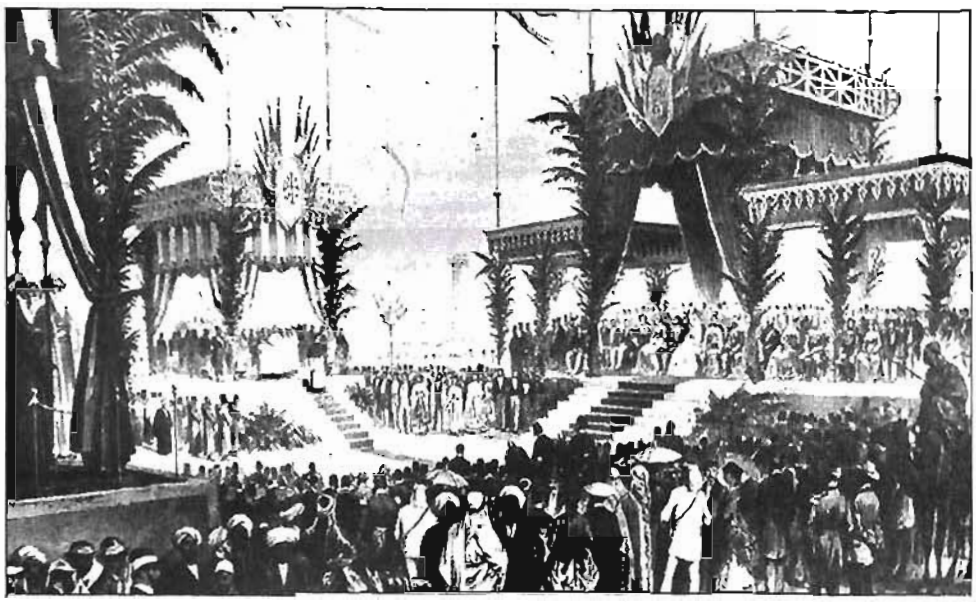

● شيوخ حفل افتتاح قناة السويس يتوسطهم الخديو اسماعيل.

الموجودة. وفى عام ١١٢ قبل الميلاد حفر قناة تصل بين «بابليون» وهى القاهرة وتنتهى فى «العباسية» حيث تتصل بالفرع القديم الذى يؤدى الى البحيرات المرة.

رتاقى عهود مختلفة. وتهمل القناة. حتى كان الفتح الاسلامى. وكان عمرو بن العاص أول من فكر فى حفر قناة للتجارة بين الشرق والغرب. فأعاد الملاحة فى القناة القديمة. ولكنها بدأت هذه المرة من مدينة الفسطاط وهى القاهرة. الى القازم وهى السويس. وأطلق عليها اسم قناة أمير المؤمنين ولكن هل كانت هذه القناة هى كل أمل عمرو بن العاص؟

لا شك أنه كانت تراوده أحلامه فى شق قناة بين السويس والبحر الأبيض. ووضع أحلامه أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وناست الفكرة. ولم تظهر بعد.

- لماذا.

لقد اعتقد أمير المؤمنين أن شق برزخ السويس. قد يعرض مصر كلها للطوفان.

المهم.. أن قناة أمير المؤمنين ظلت صالحة للملاحة اكثر من مائة عام. وكانت شريانا تجاريا حيويا وخاصة فى نقل الحجاج. وتوقفت بعد ذلك على يد ويأمر الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور. فقام بردمها. لأنه خاف من الثائرين ضده فى مكة والمدينة، أو يستخدموها فى الامداد بالمؤن.

أما شكل هذه القناة. وطولها وعمقها. فقد كانت ممتدة بطول ١٤٠ كم وبعرض ٢٥ مترا أما عمقها فكان حوالى أربعة أمتار.

والطريف أن هذه القناة لم تكن المياه فيها مالحة. ولكنها مياه عذبة.

هل القناة مشروع صليبى

وفى القرن السادس عشر كانت المنافسة على أشدها بين توتين هما فرنسا وانجلترا.

وأراد لويس الرابع عشر أن يبحث عن وسيلة للتغلب على خصمه. ولن يتغلب عليه

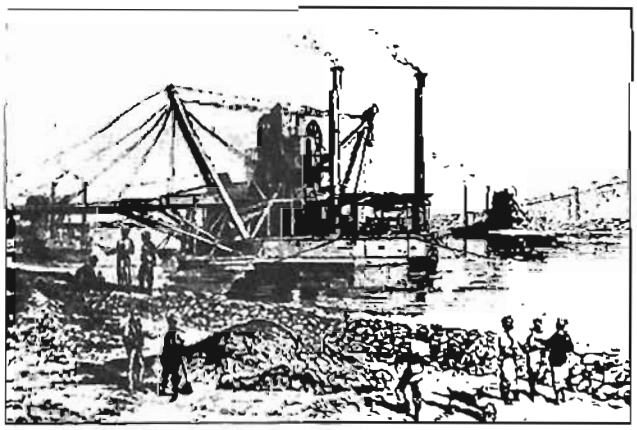

● مركب الامبراطورة أوجينى يدخل قناة السويس عند بورسعيد

إلا عندما يجد طريقا بحريا مأمونا لطريق رأس الرجاء الصالح.

ولم يجد ملك فرنسا «راحته» إلا فى مصر. إنها ذات موقع جغرافى فريد. وفيها برزخ السويس. فلماذا لا يحقق أمله من مصر. أى أنه أراد أن يحفر قناة فى هذا البرزخ. ولكن ملك فرنسا لم يحقق ما أراده.

حتى كان خليفته لويس الخامس عشر.. فتجددت من جديد. لقد كانت هولندا خصما عنيدا لفرنسا. وأراد أن يغزوها ولكن بطريقة غير مباشرة. وأشاروا على لويس الخامس عشر بغزو مصر وبهذا سوف ينتزع من هولندا أعز ما تملك وهو خزائن الشرق. ورغم أن الفكرة لم تتحقق، فإنها اتخذت طابعا دينيا وسياسيا فى نفس الوقت. ففى كتاب «يقظة العالم اليهودى» الذى صدر فى القاهرة عام ١٩٣٤. يقول مؤلفه اليهودى المصرى «ايلى ليفى ابو عسل»

- لقد وضع المجلس اليهودى الفرنسى عام ١٧٩٨ خريطة للبلاد التى تنوى قبول الاتفاق مع فرنسا. وتضم الخريطة الوجه البحرى فى مصر. وكان تفسير المجلس لذلك «أن هذا الركز اللائم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآنية من البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب».

ولكن على يد من تتحقق هذه الفكرة؟

- كان المركيز دار جنسون قد قدم مشروعا يهدف إلى الانقضاض على الامبراطورية العثمانية. ومن مميزات المشروع على حد قوله إمكان حفر قناة تصل البحر الأبيض بالأحمر وتكون ملكا مشتركا للعالم المسيحى.

نتائج خاطئة..

وجاءت الحملة الفرنسية الى مصر. وكان اهتمام نابليون ببرزخ السويس. ولذلك فقد أحضر معه مجموعة من المهندسين الفرنسيين وعلى رأسهم المهندس ليبير. واستمرت الدراسات حول برزخ السويس.

ولكنها توقفت بسبب النتائج الخاطئة التى توصلوا إليها. لقد قال المهندسون الفرنسيون إن البحر الأبيض أقل ارتفاعا من البحر الأحمر بحوالى ثمانية أمتار ونصف متر ومعنى ذلك أن إنشاء قناة يعتبر أمرا مستحيلا.

وتستمر الأمور على هذا الحال..

مشروعات تدرس ثم تنتهى بالفشل. حتى جاء فردنان دى ليسبس وطلب من الخديو محمد سعيد باشا أن يحفر قناة بين السويس وبور سعيد.

وفعلا انتزع فرمانا منه بامتياز قناة السويس. ووضع المهندسان «لينان وموجيل» مشروعا للقناة الجديدة. وعرض على لجنة دولية. وبعد إجراء بعض التعديلات بدأ العمل فى القناة. وقد منح دى ليسبس وفقا للفرمان حق امتياز قناة السويس ٩٩ عاما. تبدأ من تاريخ الافتتاح.

حقيقة لقد كانت الامتيازات الممنوحة مجحفة بحق مصر.

● كيف؟

- لقد أعطى خديو مصر جميع الأراضى اللازمة لشق القناة بدون مقابل «لدى ليسبس» كما أعطى له الحق فى جميع المواد اللازمة لأعمال القناة من المناجم والمحاجر المصرية. وإعفاء جميع المهمات المستوردة للمشروع من الرسوم الجمركية.

١٢٠ ألف عامل تحت القناة

ولعلنا نضع أيدينا على شرط واحد فى الامتياز الثانى. كان أكثر إجحافا. لقد نص هذا الامتياز الذى صدر عام ١٨٥٦ على «وجوب استخدام أربعة أخماس العاملين فى حفر القناة من العمال المصريين. على أن يكون نصيب الحكومة المصرية ١٥٪ من الأرباح كل عام».

وتأسست شركة قناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية فى ١٥ ديسمبر ١٨٥٨.

وكانت أول فأس فى أرض «فرما» التى هى بور سعيد اليوم.

واشترك فى الحفر ٢٠٠ ألف عامل مصرى استشهد منهم حوالى ١٢٠ ألفا. وظلوا يعملون عشر سنوات بلا انقطاع. وظلت الفئوس تضرب حتى تدفقت المياه من البحر المتوسط الى بحيرة التمساح فى ١٨ نوفمبر ١٨٦٢. فى ذلك الوقت كانت انجلترا تحارب مشروع الحفر بكل الوسائل. وفى عام ١٨٦٩ تم توصيل البحر المتوسط بالبحيرات المرة. والبحر الأحمر بنفس البحيرات. وبذلك التقت مياه البحرين فى ١٨ أغسطس ١٨٦٩. وافتتحت القناة فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩.

● لقد وضع العمال المصريون على أكتافهم ٧٤ مليون متر مكعب من الرمال من ناتج الحفر. وبلغت تكاليف المشروع ١٤,٥ مليون من الجنيهات.

وكان طول القناة عند حفرها ١٦٤ كم وعرضها عند مستوى سطح الماء ٥٢ مترا أما العمق فقد وصل ٧,٥ متر. وكانت الملاحة نهارا حتى ١٨٨٧. وتتوالى الأحداث على قناة السويس. فى سلسلة طويلة متصلة. وشهدت معارك وصراعات بين أطراف متنازعة. والكل يسارع إلى احتوائها أو السيطرة عليها. ولكنها كانت فى كل مرة تخرج من مطب لتدخل فى آخر. حتى عادت إلى الإدارة المصرية بتأميمها عام ١٩٥٦